

وبذلك كان دورهن دوراً عكسياً إذ عزز قيم الفحولة في اللغة، وهذا هو عين ما حدث مع الشاعرات النساء في العصور الأولى منذ الخنساء إلى عائشة التيمورية، مما أدخلهن فعلاً في مصطلح (الفحل) والفحولة كما فعل الأصمعي⁽⁵⁾. وهذا ضاعف من (غياب) المرأة عن الفعل اللغوي، حيث غابت كمؤلفة وغابت كقارئة أيضاً. ولم تفعل المرأة في هذه المرحلة أي شيء لتأنيث اللغة وإنما كانت تعزز الفحولة وتقوي مواقعها، تماماً مثلما يتعاون المواطن مع المستعمر ويقوي من قبضته على الأرض وأهلها. ولذا تلاحظ لورا ملفي: (أن المتعة الوحيدة في السرد الكلاسيكي هي متعة الرجل، أما موقع المرأة المتلقية فهو مرقوم بالغياب)⁽⁶⁾.

من هنا تصبح كتابة المرأة - اليوم - ليست مجرد عمل فردي من حيث التأليف أو من حيث النوع. إنها بالضرورة صوت جماعي، فالمؤلفة هنا وكذلك اللغة هما وجودان ثقافيان فيهما تظهر المرأة بوصفها جنساً بشرياً ويظهر النص بوصفه جنساً لغوياً، وتكون الأنوثة حينئذ فعلاً من أفعال التأليف والإنشاء ومن أفعال القراءة والتلقي، وكذلك هي فعل من أفعال استعادة المسروق والمستلب. ولذا اتحد اسم المؤلفة (أحلام) مع اسم البطلة في النص (أحلام) كلتاهما اسم واحد. وجاءت البطلة بوصفها مجموعة نساء داخل امرأة (ص 141).

هذه كتابة نوعية (لا فردية) وهي أنوثة (لا فحولة) وهي استقلال الذات وتحررها من المستعمر، هي نقلة من شاعرية الفحولة إلى شاعرية الأنوثة.

(5) انظر الأصمعي (كتاب فحولة الشعراء) تحقيق ش. توري - دار الكتاب الجديد بيروت 1971.

(6) انظر: Laura Mulvey: Visuel and other pleasures, 14-26 Boomington, Indiana University press 1989.